فلسفة الفرج و فلسفةالعالمالامثل

الشيخ علي أكبر رشاد*

الخلاصة:

هناك وجهات نظر حول مستقبل العالم و مصير البشرية و ذلك من أبرزما يهتمّ بـــه الانسان دائما و يعتبر اليوم أيضا من المباحث الهامة في الفلسفة وفلسفة الـــدين والـــشريعة وفلسفةالتاريخ وعلم الاجتماع .تنقسم الآراء البارزة في مجال علـــم النهايـــة الى قـــسمين رئيسيين :بعض يبنى على التشاؤم المصيرى فأصحابه يعتقدون أن أجل التاريخ مرّ حقّـــا و سوف تصير الحياة البشرية كريهة جدّا و قولهم فى هذه العقيدة تعليلا انّ الخلق شرّ ذاتا لهذا سيكون سيّء الأجل طبعا فثمرة مرّالعصورالسيّئة مظلمة.

انّهم يفيدون أحيانا انّالانسان موجود لانظم و لارحم له يرتكب الجريمة حسب طبعه و لايرحم أحدا و لوكان مثله فيمكن أن يسلّط انسان جابر على مصير البشر و يجرّالعـــالم للسقوط بفرض الظلم وارتكاب الجرائم وبعضهم يعتقدون أنّالاسلحة و الترسانات الحديثة

---

* رئيس المركزالعالي للثقافة و الفكرالإسلامي

التي نراها في الكرةالارضية حاليا تستطيع أن تدمّر هذاالكوكب ألف مرّة؛ فكيف لايمكن أن يفعل هكذا انسان فاجر أو جاهل باستخدام هذه الامكانيات المدمّرة؟فربّما ينشّط انسان جاهل جهازا محفوفا مدمّرا فيدمَّر العالم فجأة و سوف يحدث انتحار عالميّ فتهلك البشرية.

يقول بعض آخر :انّه يمكن تغيير العالم أحوالا بواسطة حدث عظيم كما أنشأه و أنشأالكرة الارضية خاصة لأول مرّة فتنفد من بعد. لانّه يمكن حدوث أقلّ خلل في دوران الكرات و الكواكب الحالي نظما و تقرب و تصطدم بعضها مع بعض فيقع كوكبنا في الخطر أيضا.

و قولهم : ربّما هناك أحجار سماوية كبيرة قد بعدت عن مبدئها بمسافة ملايين سنوات ضوئية فتصطدم بالكرةالارضية ذات يوم و تدمّرها.على أيّة حال الاراء المرتكزة على الفلسفة و الفيزياء و علم النفس و علم الاجتماع تصوّر العالم تصويرا سلبيّا. و قسم رئيسي من روّاد المكاتيب الفكرية و من المفكّرين الذين ينظرون الى نهاية الحياة و الانسان و التاريخ متفائلين يقولون تجاه الموقف الماضي: إنّ مستقبل العالم مضيء مؤمّل و أجل الحياة والوجود طيّب مطبوع و ختام ليلة التاريخ المظلمة صبيح متلألىء و الشرائع الابراهيمية تعدّ من نماذجه وهناك وجهات نظر اضافة الى هذين القسمين نستطيع أن نسمّيها أراء «التوقف» التي ترتكز على أن لانستطيع تقدير مستقبل العالم .

اما بعد

من الممكن أن نعتبر الاراء مشتركة في قضية واحدة حول «التخييل المتفائل لنهاية العالم» الذي يصوّر نهاية الوجود و عاقبة حياة الانسان والتاريخ طيّبا مؤمّلا و تلك القضيّة هى «النزعة الى الموعود»و قولهم: إنّه لابدّ من يد غيبيّة سوف تظهر لتحسّن جروح البشر البالية و سوف يأتي رجل يقلب حياة البشر فجأة و يحدث عصرا مضيئا كمرآة يشاهد العالم ملامح العدالة الظريفة الجميلة فيها يقلع الجور و الجفاء و يزهر العدل و الوفاء. فالاعتقاد بظهور موعود و بالنجاح الغائية هو جوهرة علم الاجتماع للاديان الابراهيمية.

قد تجلّى في المذهب الشيعي أرقى هذهالمواقف و يعبّر عن قضيّة الفرج و بيان مبادئه النظرية و جذوره العقلية بفلسفة الفرج التي تقدّمت على فلسفة التاريخ. كان الثاني يحكي عن الضوابط الحاكمة على حياة البشر و مصيره و ليست فيها قيمة الحكم و التفاؤل و التشاؤم حول نتاج مرّ العصور بل يبحث فيها عن سبب حياة البشر و تحليل مستقبل تاريخه .اما التحليل عن مصيرة و غاية الحياة و الوجود كلهما من العناوين التى تبحث عنها فلسفة الفرج .

تشرف فلسفة الفرج على مستقبل الحياة و الوجود والطبيعة أيضا فيها مصير آخر حيث يوصف الجمال بعد ما حدث الفرج يقال انّ النعجة لاتخاف من الذئب فيعيشان معا في السلم و الرخاء والارض تهب بركاتها أهلها سخيّة و يُنشأ النبت والجماد خلقا آخر.

١٨ • علي أكبر رشاد

تؤكّد فلسفة التاريخ على المصير العامّ لابناء البشر و لاتتنبّأ بمصير آحاد الانسان بل تتنبّأ فلسفة الفرج بها. سوف تكمل عقول البشر آحاده و تختلف علاقاته و مناسباته مع أنحاء الوجود و تنقلب علاقة الانسان مع اللّه و مع أمثاله و يغيّر تصرفه فى الطبيعة و يبقى الرحاب و البيئة في أمن أيضا فيتعامل كل أجزاء الحياة و الوجود مع الاجزاءو الانحاءالاخرى في بيت عالميّ مؤتمن. تبنى فلسفة الفرج على سلسلة من المبادىء و المواقف في علم المعرفة و علم الوجود و علم النفس و علم الاجتماع و من هنا تختلف عن فلسفة التاريخ و لكن لايبالى جماعة من المفكّرين الفاضلين بهذه القضيّة الماسّة حتى نرى فى آراء الاستاذ المطهّرى أنّه يناقش مبحث الفرج و قضية الانتظار في اطار فلسفة التاريخ حينما يعلّق على علوم التاريخ نحو التاريخ التحليلي و التاريخ النقلي و فلسفةالتاريخ. و لكن برأيي انّ فلسفة الفرج هي أرقى من فلسفة التاريخ ؛ لانّ الحديث هنا ليس عن مستقبل التاريخ بل عن مستقبل الوجود والحياة و تحوّل المناسبات بين الكائنات .

يخطأالدكتورالشريعتي فى مبحث الانتظار حينما يعدّه في مناقشته جزءا من علم الاجتماع المتحول و يخفّض مستوى انتظار الفرج الى حدّ يسمّيه آلة للاحتجاج الجنعي و عدم الانقياد للموقف الحالي و يجدر الانتظار غايته و نطاق نفوذه أرقى و أعلى تقدّما بالنسبة الى هذه الابحاث والقرارات بشأن احتجاج المواقف المسيطرة و رفضها ولو كانت من قمرات الانتظار و حصيلاته .

الآراء الاسلامية بشأن «الفرج»

تقوم الآراء الاسلامية بشأن «الفرج» على دعائم جليّة من معرفة العالم الاسلامية نلاحظها نظرة عابرة فيما يلي. فمعرفة العالم مصطلح يطلق على كيفية مناقشة الانسان في الحياة والوجود ؛ فتدور النظرة الاسلامية الى العالم على تصورين أساسيّين :

الف) بناء العالم على وجود الخالق و توحيده

ب) بناء العالم الحالي أحسن بناء

يفصّل هذان التصوران الاساسيان عشرة أصول جديرة بدقّة النظرمحتاجة الى الشرح اللائق و البسط اللازم و هناك نماذج كثيرة قرآنيةمتصلة بتلك الاصول نكتفي بدعامتين و بعشرة أصول و نشير الى بضعة نماذج قرآنية فقط .

الدعامة الاولى: يحكم النظام الامثل على الوجود

حسب ماورد فى القرآن الكريم إنّ العالم الحالي هو أحسن العوالم التي يمكن حدوثها واللّه هو «اَلَّذي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ» (السجدة،٧) لا خلل ولا نقص في خلق الرحمن و لايرى فيه الا المساومة و التنسيق .يحكم نظامان على العالم تأثيرا و تدبيرا: النظام الممتدّ العلّيّ و النظام المجانب الاعداديّ ؛ تشكّل الاول مجموعة من الاسباب و المسبّبات و الثاني طائفة من المعدّات والمستعدّات و تصل سلسلة الاسباب و المسبّبات و مستويات عوالم

الوجود و درجاتها وصولا مستدرجا من مستويات عالم الخلق المنحدرة الى رحاب الخالق و ساحته المتعالية؛ فالعلاقةبين درجات هذه السلسلة و دبلاتها هي العلاقة الوجودية تعني كل مسبّب يحتاج الى سببه في وجوده أصلا و حياته حقا. انّ المعدّات تمهيد في النظام المجانب حتى تتأثّر المستعدّات بالاسباب واللّه هو المؤثّر الذي ترى مشيّته الالوهيّة في مجال الاسباب الجليّة فهو يحكم ما يريد؛ اذن لاتعارض هنا رأيا واعتقادا سواء تُصدَّق علّيّة الحق جلّ و علا و فاعليّته و فاعليّة الدّبلات لسلسلة من الاسباب الممتدّة (كالملائكة) أو يُعلم تأثير الاسباب الطبيعية اعدادا و لا تزاحم بين الاسباب الطبيعيّة و الاسباب الحقيقيّة أي بين المعدّات الماديّة و المؤثّرات الوجوديّة عملا و تحقّقا. لانّ الاسباب الممتدّة و المعدّات المجانبة تنسج الموجودات نسجا و اضافة الى هذا برأي القرآن الكريم انّ ميزة تأثير الاسباب الطبيعيّة رهينة بالارادة و المشيّة الالهيّة و ان كان أصل الوجود هكذا فهذا هو اللّه الذي أعطى الاشياء و الاسباب بجعل واحد «وجودا» و «سببيّة و علّيّة».

والقرآن الكريم كنص موحيّ يعدّ العالم فعلا للّه و يتكلّم بألوهيّته المطلقة و قدرته في الخلق و الانشاء و التصوير، فكلّ شيء سواء كان حسنا أو سيّئا ينسبه القرآن الكريم من جانب الى اللّه الحقّ و من جانب آخر يتحدّث ككتاب طبيعيّ عن التّقلّبات في العالم الماديّ و التطوّرات في الطّبيعة.و هذا الادّعاء الذى يتبنّى على أن العالم الحالي هو أحسن العوالم الممكنة يعتمد على براهين و حجج كثيرة نشير الى بعضها فيما يلي :

للحجج الاربع الاولى جذور فلسفيّة عرفانيّة و ان كانت مجنيّة من الاخبار و التعـــاليم الدينيّة نصّا الا انّ الحجّة الخامسة تعتمد على مصرّحات قرآنيّة يمكن أن تعتبر حجّة مأثورة نقليّة :

١ــ إنّ الذي أنشأ الوجود و خلق الموجودات هو الوجود الحكيم القادر فلا يقدر على الصنع اتقانا الا الحكيم القادر لانّه قبيح وعلى نبذ الحكمة و القدرة إن كان الخلق معيوبـــا ناقصا و الانشاء ذا خلل و فراغ فمن المستحيل أن يفعل الحكيم المطلق و القادر الوحيـــد فعلا قبيحا.

٢ــ إنّ اللّه سبحانه هو محض الفيض و مطلق الخيرو لو لم يكن يتمّ الصنع الالهيّ أحسن صنع فهو الامساك عن الفيض و الخير ولكن سدّ الفيض والخير فالامتناع عن الربح والجود على ضدّ فيضان المفيض الوحيد و المحسن المطلق فينتهك الوصف الاخير.

٣ــ إنّاللّه الأحد هو ينبوع‌الحسن و مطلق‌الحكمة و ليس العالم الا آية و مرآة لكماله و جماله و لابدّ للعالم أن يكون أكمل و أحسن و الا فلا يعدّ آية‌الحسن و مرآة‌الحكمة‌المطلقة.

٤ــ إنّ إحكام العالم و ءاتقانه تؤيّده دراسة الوجود و مشاهدة النظم الغريب و النسق العجيب اللذين يحكمان عليه و الروائع المعجبة و الجمال‌المثاليّ لكل الظاهرات .

٥ــ هناك آيات قرآنية كثيرة تشير تصريحا و تلويحا الى الخلـــق حـــسنا و الى الـــصنع إحكاما و إتقانا حيث تقول واضحة مثلا :

- «وَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّالسَّحابِ صُنْعَ اللّه الَّذى أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ اِنَّهُ خَبيرٌ بِماتَفْعَلُونَ»(النمل، ٨٨)
- «الذي أحسن كلّ شيء خلقه»(السجدة، ٧)
- و«لَقَدْ خَلَقْنَاالاِنْسانَ في أَحْسَنِ تَقْويمٍ»(التين، ٤)

لقد عبّر القرآن الكريم عن اللّه سبحانه بـ«أحسن الخالقين» نحو سورة «المؤمنون» الاية ١٤: «فَتَبارَكَ اللّه أَحْسَنُ الْخالِقينَ» و سورة «الصافّات» الاية ٢٥: «أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَالْخالِقينَ».

و من الواضح أنّ اللّه تعالى سمّي بأحسن الخالقين حيث يخلق الأحاسن و إن لم يكن كذلك لايضبط هذا النعت بالنسبة الى منظر الانسان المسلم في علم الوجود يجب أن نفيد بأنّاللّه تعالى خير ذاتا و خلقه خير أيضا و انّ الشّرّ و النقصان عدميّان و نسبيّان وطفيفان و غير فطريّين و منسوبان الى ما هو خير ذاتا و فطرة. «ماأَصابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَاللّه وَ ماأَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْناكَ لِلنّاسِ رَسُولاً وَ كَفى بِاللّه شَهيداً» (النساء، ٧٩)

الدعامة الثانية : يتركّز الوجود على اللّه و توحيده انّ القرآن و الادب الديني الاسلامي لايهتمّ بقضيّة الى حدّ الاهتمام باللّه و معرفته .

يختصّ بهذا المجال ما في النصوص المقدّسة الاسلاميّة من الالفاظ تكثّرا و المفردات تنوّعا و من المعاني عمقا و صيتا. ليس للبعثة المحمّديّة « صلىاللهعليهوآله وسلّم» معطيات أعظم و أعمق من التوحيدالخالص الاسلاميّ و لا أكثف و أجمل منه .

النظرة الاسلامية إلى العالم نظرة تدور على اللّه و تتبنّى على التوحيد .نشير في هـــذا المقال موجزا مختصرا متجنّبا أيّ شرح و تعليق الى شتّى النصوص و الآيات القرآنية :

اولا) إنّ اللّه تعالى موجود في كل مكان دائما و ببيان أدقّ نقول إنّ اللّه ربَّ الارباب ليس منحازا الى المكان و الزمان ؛ فالآيات التالية تدلّ على هذا الاساس :

- «هُوَالاوَّلُ وَالاخِرُ والظّاهِرُ وَالْباطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ» (الحديد،٣)
- «وَلِلّه الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّه اِنَّ اللّه واسِعٌ عَليمٌ» (البقـــرة، ١١٥)
- «وَ لَقَدْ خَلَقْنا الاِنْسانَ وَنَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ اِلَيْهِ مِـــنْ حَبْـــلِ الْوَريدِ»(ق، ١٦)
- «أَلا اِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحيطٌ» (الفصّلت، ٥٤)
- «...أَنَّ اللّه قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً» (الطلاق، ١٢)

ثانيا) انّ مبدأ الوجود و مقصده هو اللّه تعالى فالعالم و الانسان وجودا منه و اليـــه و ببيان آخر انّ الوجود من اللّه و يهدى اليه و أخيرا يرجع اليه.نشير الى بعـــض النمـــاذج القرآنية فيما يلي :

- «الَّذينَ اِذا أَصابَتْهُمْ مُصيبَةٌ قالُوا اِنّا لِلّه وَاِنّا اِلَيْهِ راجِعُونَ» (البقرة،١٥٦)
- «اللّه يَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُهُ ثُمَّ اِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» (الروم، ١١)
- «وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَاِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» (فصّلت، ٢١)

ثالثا) إنّ اللّه هو الرّبّ كما هو الخالق و بيده تدبير العالم و الانسان و تربيتهما كما بيده خلقهما لأول مرة. يخلق دائما و يربّي ما خلقه مستمرّا. لايترك أمر الوجود لحظة و إنّه هو الذي يسبّب الاسباب الطبيعية و يؤثّر على المعدّات المادية و هذان هما خصلتان له كما مرّ.

لايزال يفيض الوجود و لو استنكف عن الإفاضة لحظة واحدة لأصبح الوجود عدما فجأة و دفعة. نرتكز على الايات التالية الدّالّة على هذاالاساس :

- «ألا لَهُ الْخَلْقُ وَالاَمْرُ تَبارَكَ اللّه رَبُّ الْعالَمينَ» (الاعراف، ٥٤)
- «كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فى شَأْنٍ» (الرحمن، ٢٩)
- «يُدَبِّرُ الاَمْرَ مِنَ السَّماءِ اِلى الاَرْضِ» (السجدة، ٥)
- «اِنَّماَأَمْرُهُ اِذاَأَرادَ شَيئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ* فَسُبْحانَ الَّذى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَ اِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» (يس، ٨٣-٨٢)

رابعا) إنّ العالم كلّه هو الفقر و الاحتياج إلى اللّه سبحانه و إنّ اله العالم هو الغنيّ الوحيد المطلق، آيات كثيرة تؤيّد هذاالاساس منها:

- «يأَأَيُّهَاالنّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ اِلَى اللّهوَاللّه هُوَالْغَنِىُّالْحَميدُ» (الفاطر، ١٥)

خامسا) إنّ العالم كلّه مسخّر بيده القادر و إنّ الموجودات كلّها خاضعة لأمره خضوعا تكوينيّا تشريعيّا كما ورد في الايات الاتية :

- «أَفَغَيْرَدينِاللّه يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِيالسَّمواتِ وَالاَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً وَ اِلَيْهِ يُرْجَعُونَ» (آل عمران، ٨٣)
- «يا صاحِبَيِ السِّجْنِ ءَأَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَماللّهالْواحِدُالْقَهّارُ» (يوسف،٣٩-٣٨)

أصول النظرة الى العالم كما قلنا انّ اعتبار العالم دائرا على اللّه واعتبار النظام الحاكم على العالم أحسن نظام نظرة بالجملة الى بطن الحياة و بناء الوجود و هذا الاجمال يفصّل و يبيّن في عشرة أصول :

الأصل الاول) للخالق هدف و للمخلوق هدف أيضا

فبعض يزعم أنّ للوجود حركة آلية و حكم ذاتيّ (و لو أنّهم اعتقدوا بخالقية اللّه سبحانه منكرين ربوبيّته) فقد زعموا أنّ الخالق ليس إلا صانع ساعة متقاعدا و لكن ينافي هذاالزعم و ينتهكه النظام النشيط و الشريعة المستمرة الراهنة في الخلق و العناية بحكمة الخالق الاحد البالغة و فيّاضيّته.

لقد ورد في القرآن الكريم :

- «إِنَّ في خَلْقِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ لَأياتٍ لِأُولِيالْأَلْبابِ * الَّذينَ يَذْكُرونَ اللّه قِياماً وَ قُعوداً وَ عَلى جُنوبِهِمْ وَ يَتَفَكَّرونَ فى خَلْقِ السَّماواتِ وَ الارْضِ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلاً سُبْحانَكَ فَقِنا عَذابَ النّارِ» (آل عمران، ١٩١ــ١٩٠)

- «وَهُوَالَّذي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ...» (الانعام، ٧٣)
- «وَ ما خَلَقْنا السَّمآءَ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُماباطِلاً...» (ص، ٢٧)
- «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالاِنْسَ اِلاّ لِيَعْبُدونِ» (الذاريات، ٥٦)

إنّ اللّه المنّان يهدي الموجودات كلّها إلى أهدافها و غايتها المطلوبة ؛فالهداية الالهية لها درجات و أقسام تشمل كل مخلوق حسب تمكّنه و استعداده شمولا خاصّا بدرجة واحدة و قسم واحد أو أكثر.

تنقسم الهدايات الإلهية من منظر الى قسمين: التكوينية و ماوراءالتكوين فالهداية التكوينية تنقسم الى ثلاثة أقسام أيضا: الطبيعية والقريحية و الفطرية .

إنّاللّه تعالى يشير الى الهداية التكوينية للمخلوقات :

- «قالَ رَبُّنا الَّذى أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى» (طه، ٥٠)

والهداية ماوراءالتكوين تنقسم الى قسمين أيضا: الهداية وحيا و الهداية إشراقا.

إنّالموجودات كلّها حتى الجماد تُهدى هداية طبيعية و لكن الهداية القريحية تختصّ بالانسان و الحيوان:

- «وَأَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذي مِنَ الْجِبالِ بُيوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمّا يَعْرِشونَ * ثُمَّ الثَّمَراتِ...» (النحل، ٦٨)

والهداية الباطنية أو الفطرية تختصّ بالانسان فقط و لقد ورد فيها كثير من الايات القرآنية منها:

- «وَنَفْسٍ وَما سَوّيها * فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْويها» (الشمس ،٧و٨)
- «وَ هَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ» (البلد ،١٠)

والهداية الاشراقية ليست الا الهامات خاصة من قبل اللّه سبحانه تشمل الذين يجاهدون أنفسهم فيُخلَصون و يتّقون :

- «وَلَوْأَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَاتَّقَوْا فَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَالاَرْضِ...»(الأعراف،٩٦)
- «ياأَيُّهَاالَّذينَ آمَنوا إِنْتَتَّقواالله يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً»(الأنفال،٢٩)

و إنّ هداية الأنبياء تشمل البشر كافّة كما قال عزوجل:

- «لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَالْميزانَ لِيَقومَ النّاسُ بِالْقِسْطِ...»(الحديد، ٢٥)

الأصل الثاني) الالتزام بالنظم و القانون كما ذكرنا:

هناك نظامان متقاطعان يحكمان على الحياة والوجود فلا يمكن هذا الا أن يحكم على العالم سلطة دقيقة و قانون دقيق و نظم نسيق :

- «أَلَّذي لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَريكٌ فِي الْمُلْكِ وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْديراً» (الفرقان، ٢)

أمثلة عديدة ذكرت مؤكدة فى سورة يس تدلّ على النظام والقانون الحاكم على العالم منها «كيفية حداثة الارض» و «تنمية الأعشاب المأكولة و أثمارها» و «ظهورالحدائق و العيون» و «زوجيّة النباتات و الانسان» و «نظام الليل و النهار و اختلاف الشمس و القمر اختلافا شرعيا»

- «كَذلِكَ نُصَرِّفُ الايات لِقَوْمٍ يَشْكُرونَ» (الاعراف، ٥٨)،
- «وَءاذْ أَخَذْنا ميثاقَكُمْ وَرَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطّورَ خُذوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُروا ما فيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقونَ» (البقرة، ٦٤ــ٦٣)
- «وَهُوَالَّذي مَدَّ الاَرْضَ وَجَعَلَ فيها رَواسِيَ وَأَنْهاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فيها زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ إنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرونَ» (الرعد: ٣)

فنرى كثيرا من الايات القرآنية الاخرى تتحدّث تلويحا و تصريحا عن النظام والقانون الحاكم على الوجود منها:

- «لَوْكانَفيهِماآلِهَةٌالاّاللّه لَفَسَدَتا فَسُبْحانَاللّهرَبِالْعَرْشِعَمّايَصِفُونَ» (الانبياء، ٢٢)
- «اللّه يَتَوَفَّى الاَنْفُسَ حينَ مَوْتِها وَالَّتي لَمْ تَمُتْ فى مَنامِها فَيُمْسِكُ الَّتي قَضى عَلَيْهاالمَوْتَ وَ يُرْسِلُ‌الأُخْرى إلى أَجَلٍ مُسَمّىً إنَّ فى ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرونَ»(الزمر، ٤٢)
- «وَالبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِاِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذي خَبُثَ لا يَخْرُجُ اِلا نَكِداً »(الأعراف،٥٨)
- «سَبِّحِ‌اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلى * اَلَّذي خَلَقَ فَسَوّى* وَالَّذي قَدَّرَ فَهَدى»(الأعلى، ٣-١)

- «انّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ» (القمر، ٤٩)
- «وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى‌اللّه فَهُوَ حَسْبُه إنَّ اللّه بالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللّه لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرا» (الطلاق، ٣)
- «وَ مِنْ‌آياتِه يُريكُمُ الْبَرْقَ خَوْفا وَ طَمَعا وَيُنَزِّلُ مِنَ‌السَّمآءِمآءً فَيُحْيي بِهِ‌الأَرْضَ بَعْدَمَوْتِها إنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» (الروم، ٢٤)
- «اللّه الَّذى يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثيرُ سَحابا فَيَبْسُطُهُ فِي‌السَّمآءِ كَيْفَ يَشآءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى‌الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَاِذا أَصابَ بِهِ مَنْ يَشآءُ مِنْ عِبادِهِ ءاذا هُمْ يَسْتَبْشِرونَ» (الروم، ٤٨)
- «وَاللّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمآءِ مآءً فَأَحْيا بِهِ الاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها انَّ في ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعونَ» (النحل، ٦٥)
- «أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللّه سَبْعَ سَماواتٍ طِباقا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فيهِنَّ نورا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِراجا» (نوح، ١٦ــ١٥)
- «الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبانٍ*وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدانِ*وَالسَّمآءَ رَفَعَها وَوَضَعَ الْميزانَ» (الرحمن، ٧ــ٥)
- «هُوَ الَّذي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيآءً وَالْقَمَرَ نورا وَقَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَموا عَدَدَ السِّنينَ وَالْحِساب ما خَلَقَ اللّه ذلِكَ الاّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمونَ» (يونس، ٥)
- «وَلَقَدْ جَعَلْنا فِي السَّمآءِ بُروجا وَزَيَّنّاها لِلنّاظِرينَ» (الحجر، ١٦)

الأصل الثالث) الوحدة و الاعتدال

يحكم العالم الحالي وحدة منظمة (ولا آلية) و للعالم اعتدال وتناسب رائع كموجود حيّ:

- «مَااتَّخَذَاللّه مِنْ وَلَدٍ وَما كانَ مَعَهُ مِنْ اِلهٍ اِذا لَّذَهَبَ كُلُّ اِلهٍ بِما خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ» (المؤمنون، ٩١)

و يفيد في بداية سورة الملك مذكّرا:

- «اَلَّذي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقا مّاتَرى فى خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ فارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرى مِنْ فُطورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبُ اِلَيْكَ الْبَصَرُ خاسِئا وَ هُوَ حَسيرٌ» (الملك، ٤ــ٣)

الأصل الرابع) الموجودات تتمرئى كالآيات

إنّ العالم كلّه فعل و معلول للّه تعالى و إنّ الموجودات كلّها كآية و ظلال له و لا تكون شيئا أمام وجوده الحقيقي و لونظرت الى أيّ شيء شاهدت اللّه فيه لأنّه كل شيء يدلّ بوجوده ؛ فالقرآن الكريم ككتاب تشريعيّ يتحدّث عن أنّ الوجود آية و علامة كما انّ الوجود كلّه ككتاب تكوينيّ الهيّ يدلّ على اللّه سبحانه نحو:

- «سَنُريهِمْ آياتِنا فِي‌الآفاقِ وَفي أَنْفُسِهِمْ حَتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شهيدٌ» (فصّلت، ٥٣)

- «الّذينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ يَعْرِفونَهُ كَما يَعْرِفونَ أَبْناءَهُمْ وَاِنَّ فَريقا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمونَ الحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمونَ»(البقرة، ١٤٦)
- «خَلَقَاللّه السَّماواتِ وَالاَرْضَ بِالْحَقِّ اِنَّ في ذلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنينَ» (العنكبوت، ٤٤)
- «وَمِنْآياتِه أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجا لِتَسْكُنُوا اِلَيْها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً اِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» (الروم، ٢١)

و... يشير الى هذا الاساس تصريحا أو تلويحا.

الاصل الخامس) للعالم نشأتان

ينقسم العالم الى النشأة الغيبية و النشأة الشهودية ؛ فالنشأة الغيبية هي الدرجة العليا للعالم و الأدم‌النبيل للخلق. فمئات الآيات القرآنية تدلّ على هذه الحقيقة الماسّة منها:

- « عالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ وَهُوَالْحَكيمُ الْخَبيرُ» (الانعام، ٧٣)
- «هُوَ اللّه الَّذي لااِلهَ الاّ هُوَ عالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ هُوَ الرَّحْمانُ الرَّحيمُ» (الحشر، ٢٢)
- «وَلِلّهغَيْبُالسَّماواتِ وَالاَرْضِ وَاِلَيْهِ يُرْجَعُ الاَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ» (هود، ١٢٣)
- «وَلِلّهغَيْبُالسَّماواتِ وَالاَرْضِ وَما أَمْرُ السّاعَةِ اِلاّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ اِنَّ اللّه عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ» (النحل، ٧٧) و...

الأصل السادس) للظاهرات شعور

إنّ القرآن الكريم يعدّ الظاهرات حتى الجمادات كلّها ذاشعور (ولا حيوانا) و لو أنّنا لا ندرك أنّ لها شعور:

- «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّه يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الاَرْضِ وَالطَّيْرُ صآفّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَ تَسْبيحَهُ وَاللّه عَليمٌ بِما يَفْعَلُونَ» (النور، ٤١)
- «قالُوا أَنْطَقَنَااللّه الَّذي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَخَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَاِلَيْهِ تُرْجَعُونَ»(فصّلت،٢١)
- «وَأَخْرَجَتِالاَرْضُ أَثْقالَها * وَقالَ الإنْسانُ ما لَها * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَها* بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحى لَها»(الزلزال، ٥ــ٢)

و تؤيّد هذاالاساس أعشار الايات الاخرى.

الأصل السابع) إنّ العالم منقاد للّه تعالى انقيادا كاملا و خاضع له دائما و لاتزال الموجودات كلّها جمادا و نباتا و حيوانا و ملكا تحمده و تعبده و لا قدرة و لا تصرّف لظاهرة الإنسان على أن يتذمّر نحو :

- «وِللّه يَسْجُدُ ما فِيالسَّماواتِ وَما فِيالاَرْضِ مِنْ دآبَّةٍ وَالْمَلآئِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ * يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ» (النحل، ٥٠ــ٤٩)

- «ثُمَّ اسْتَوى اِلَى‌السَّمآءِ وَهِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَلِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتآ أَتَيْنا طآئِعينَ»(فصّلت، ١١)
- «وَلِلّه يَسْجُدُ مَنْفِي‌السَّماواتِ وَالاَرْضِ طَوْعا وَكَرْها وَ ظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصالِ» (الرعد، ١٥)
- «وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُبِحَمْدِهِ وَالْمَلآئِكَةُ مِنْخيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّواعِقَ فَيُصيبُ بِها مَنْ يَشآءُ وَهُمْ يُجادِلُونَ فِي‌اللّه وَهُوَ شَديدُالْمِحالِ» (الرعد، ١٣)
- «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّه يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَماواتِ وَمَنْ فِي‌الاَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوابُّ وَ كَثيرٌ مِنَ‌النّاسِ» (الحج، ١٨)

الأصل الثامن) حُسن الطينة و حسن الخَلق للانسان

إنّ الاسلام يعدّ الانسان موجودا «ذاأصالة» و «ذانشأتين» و «حَسنة الطينة» و «طيّب الخَلق» و مخلوقا «كريما» و أشرف الظاهرات الأخرى و «عاقلا» و «مختارا» و «متطوّرا» دائما و «مهديّا» بهداية خالقه و «مرعيّا» برعاية ربّه و «صالح الرأي» و «طالب الصلاح» و «طامح الاتقان» و «قابل الاكمال» و يعدّ خلقه «ذاهدف» و حياته «طيّب الأجل» أيضا.يحسب الدنيا و العقبى فترتين متصلتين من حياته متداولتين طبعا و جبرا لانّ النفس خالدة.

- «تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ‌السَّبْعُ وَالاَرْضُ وَمَنْ فيهِنَّ وَاِنْ مِنْ شَيْءٍ اِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لكِن لا تَفْقَهُونَ تَسْبيحَهُمْ...» (الاسراء، ٤٤)

- «هُواللّه الْخالِقُ الْبارِىءُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الاَسْمآءُ الْحُسْنى يُسَبِّحُ لَهُ ما فِيالسَّماواتِ وَالاَرْضِ وَ هُوَ الْعَزيزُ الْحَكيمُ» (الحشر، ٢٤)
- «يُسَبِّحُ للّه ما فِي السَّماواتِ وَما فِيالاَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ»(التغابن، ١)
- «تَكادُ السَّماوات يَتَفَطَّرْنَ مِنْفَوْقِهِنَّ وَالْمَلآئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُون لِمَنْ فِيالاَرْضِ»(الشورى، ٥)
- «إنّا سَخَّرْنَاالْجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالاِشْراقِ» (ص، ١٨)
- «سَبَّحَ للّه ما فِيالسَّماواتِ وَالاَرْضِ وَهُوَالْعَزيزُالْحَكيمُ» (الحديد، ١)

الخاتمة:

إنّالانسان برأى الشريعة المحمدية «مختار» لكونه «عالما و عاقلا» و«محقّ» لأنّه مختار و «مكلّف» لكونه محقّا و «مسؤول» لانّه مكلّف.والقرآن هو أسمى الوثائق للشريعة الاسلامية و أعظمها اعتبارا .ومن المجالات التي يزاولها هذا الكتاب الكريم مزاولة بالغة هي قضية علم الانسان و يثبت لنا في نظرة عابرة الى سور هذاالكتاب القيّم أنّه يختصّ بعلم الانسان مايربو على ربع آياته على الاقل ؛ فمعظم هذه الايات في تبيين الوجودية و وصف صفاته و المناقشة في أحواله المنبعثة من أصالة ذات دعامتين، و أيضا في تنسيق هذه الصفات و الاحوال تمهيدا و كيفيةً و استخدامها تجاه الكمال البشرى .

حسب المنظار القرآني ليس الانسان من بداية حدوثه بشكل لاأصالة و لا مقتضى له و ليس هكذا ألاّ بدّ له الاّ الترعة الوحيدة و النشأة الفريدة ؛ فالاحكام المحكمة على الانسان تـــدلّ على أصالته و الايات التي تزاول بعض أبناء البشر شذوذهم و مسخ وجوديتهم تدلّ علـــى هذاالمدّعى أيضا و هناك آيات كثيرة تتحدّث عن ذاته المفطور و وجوده المخلوق صـــريحةً نحو :

- «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدّينِ حَنيفا فِطْرَتَ اللّهالَّتي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها لا تَبْديلَ لِخَلْقِ اللّـــه ذلِكَ الدّينُ الْقَيِّمُ»(الروم، ٣٠)
- «قُل الَّذي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ اِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ و...» (الاسراء، ٥١)
- «وَإِذْقالَ رَبُّكَ لِلْمَلآئِكَةِ انّي جاعِلٌ فِيالاَرْضِ خَليفَةً...»(البقرة، ٣٠)
- «فَاِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فيهِ مِنْ رُوحي...» (الحجر، ٢٩؛ص ٧٢)
- «يُريدُونَ أَنْ يُطْفِؤُوا نُورَاللّه بِأَفْواهِهِمْ وَيَأْبَىاللّه اِلاّ أَنْيُتِمَّ نُورَهُ» (التوبة، ٣٢)
- لَقَدْ خَلَقْنَاالاِنْسانَ في أَحْسَنِ تَقْويمٍ» (التين، ٤)
- وَعَلَّمَ آدَمَالاَسمآءَ كُلَّها...» (البقرة، ٣١)
- وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنيآدَمَ وَحَمَلْناهُمْ فِيالْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَ...» (الاسراء، ٧٠)
- وَ اِذْ قُلْنا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ...» (البقرة، ٣٤)
- «ثُمَّ قُلْنالِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوآالاّ اِبْليسَ...» (الاعراف، ٦١)
- «وَ اِذْ قُلْنا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوآالاّ اِبْليسَ...» (الاسراء، ٦١؛الكهف؛ ٥٠؛ طه، ١١٦)

- «فَقَعُوا لَهُ ساجِدينَ» (الحجر، ٢٩؛ ص، ٧٢)
- «فَسَجَدَالْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ *اِلاّ اِبْليسَ أَبى أَنْ يَكُونَ مَعَ السّاجِدينَ» (الحجر،٣١ــ٣٠)

يسمّي القرآن الإنسان موجودا جعله اللّه «خليفة» له (البقرة ،٣٠) و نفخ فيه من «روحه» (الحجر، ٢٩؛ص، ٧٢) وخلقه في «أحسن تقويم» (التين،٤) و علّمه «الاسماء كلّها» (البقرة ، ٣١) و «كرّمه» على كل ما خلق (الإسراء ، ٧٠) حتى أنّه جعله «مسجودا» لملائكته (الحجر،٣٠ ؛ ص،٧٣ ؛ البقرة،٣٤؛ الأعراف، ١١؛ الإسراء، ٦١؛الكهف، ٥٠؛ طه،١١٦)

الأصل التاسع) إستمرار الحياة و الوجود و الصلة بين الدنيا و العقبى

إن هذا العالم هو فصل من حياة العالم و موجوداتها و العالم الذي يكون بعد الموت (الاخرة) فصل آخر من حياة العالم أيضا و هدان الفصلان فترتان لن تفترقا في حياة الانسان و الظاهرات الأخرى والقرآن كلّه حافل بالنماذج في هذاالاصل الاصيل الاسلامى.

الاصل العاشر) عودة الانسان والعالم تحسّنا

إنّ خالق العالم يتحمّس للعدل بالحق والخير و الكمال و لقد استقرت إرادة اللّه فى عودة الوجود تحسنا و إنّ العالم و الانسان على تجاه التكامل و سوف تنتهي عاقبة الانسان

و نهاية العالم إلى تفوّق الحق و تحقّق العدل و هذاالمدعى تؤكّده آيات كثيرة تبلغنا أنّ للعالم مستقبل طيّب و للإنسان أجل صالح.